الامام احمد رضا الحنفی البریلوی

وشخصيته الموسوعية

بقلم: فضيلة الاستاذ كوثر النيازي
وزير الشئون الاسلامية والاقليات سابقا

تعريب: الاستاذ ممتاز احمد السديدي
خريج الجامعة الاسلامية باسلام آباد باكستان



اكاديمية رضا
لاهور باكستان

الامام احمد رضا الحنفي البريلوي

وشخصيته الموسوعية

بقلم: فضيلة الاستاذ كوثر النيازي
وزير الشئون الاسلامية والاقليات سابقا
تعريب: الاستاذ ممتاز احمد السديدي
خريج الجامعة الاسلامية باسلام آباد باكستان

ملتزم الطبع والنشر

اكاديمية رضا ○ لاهور باكستان

رقم الرسالة المطبوعة (١٠٢)

الطبعة الثانية

رجب المرجب ١٤١٦ھ دسمبر ١٩٩٥م

هذه الرسالة تطلب من العنوان الآتى

RIZA ACADEMY

(REGD.)

Riza Masjid, Mehboob Road, -
Chah Miran Lahore - Pakistan

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التقديم

سماحة الشيخ كوثر النيازى الوزير السابق للامور المذهبية و الاقليات (١٩٧٤م–١٩٧٧م) شخصية معروفة فى مجال السياسة والصحافة فى باكستان وله نظرة عميقة فى ابعاد عصره وهو اديب رفيع الفكر وشاعر بارع الخيال:

الله الله بستیٔ شاعر ، قلب غنچہ کا آنکھ شبنم کی

(ما أحسن شخصية الشاعر قلب النورة وعين الندا)

كانت الحاجة الى مثل هذا القلب والعين لمعرفة ابعاد شخصية الامام احمد رضا ، القلب الذى يستطيع ان يسمع الحق ويرفعه ولا يكون محاميا ولا قاسى القلب ، ولا متشدد القول.

قدم الشيخ هذه المقالة فى مؤتمر الامام احمد رضا المنعقد فى فندق تاج محل كراتشى ، الموافق بـ ١٤ سبتمبر ١٩٩٠م تحت اشراف مجمع بحوث الامام احمد رضا ، فحصلت هذه المقالة مقدرة فى هذا المؤتمر ، وكنت من المشاركين فى هذا المؤتمر ، وتم اللقاء الاول ايضا مع الشيخ كوثر النيازى ، طبعت هذه المقالة فى جريدة جنگ اولا ، ثم طبعها ادارة المعارف النعمانية ، واكاديمية رضا ، لاهور ،

والآن اهتمت بطبعها اكاديمية رضا ، باللغة العربية ·

الشيخ كوثر النيازى ليس من المعتقدين للامام احمد رضا ، وكل ما كتب عنه لم يكتبه غارقا فى حبه فقط ، بل كتبه بعد مطالعة عميقة عنه ، وفى ضوء تجاربه ولهذا يرى افكاره هامة وعالية ، ترشد المحققين الى ابعاد شخصية الامام احمد رضا، لشار الشيخ كوثر النيازى الى هذا القرار المحير فى بداية مقالته قائلا :

وفى شبه القارة شخصيات كثيرة بارزة تتجلى فيها صفات الخير والصلاح، ولكن عند ما يطالع رجل محايد هذه الشخصيات جميعا ويدير بصره فيها يجد أن شخصية الامام احمد رضا هى الشخصية الوحيدة التى يمكن ان تعتبر جامعة ·

(الامام احمد رضا وشخصيته الموسوعية ص : ١٥)

ومثل هذا تماما بدى الرأى المحقق الشهير واستاذنا ، الدكتور غلام مصطفى خان (رئيس قسم اللغة الأردية ، بجامعة سنده) ولا شك أن كل رجل محايد يصل الى هذه النتيجة ·

ولكن هذه آفة عظيمة بأن اخفيت هذه الشخصية الجليلة تحت غبار الاتهامات الكاذبة والظنون الخاطئة ، ومن الأسف الشديد أن هذه عملية بعض اهل العلم ، رغم معرفتهم واطلاعهم على الحقائق ؛ على كل حال بدأ هذا الغبار يزول، وبدأ التحقيق حول شخصية الامام احمد رضا وخدماته العلمية فى بعض جامعات آسيا وافريقيا وامريكا واوربا وهذا التحقيق مستمر حتى اليوم ·

لقد ادعى المخالفون اتهامات كثيرة على الامام احمد رضا ،

وكانت اكثرها شيوعا بأن الامام احمد رضا مؤسس الفرقة البريلوية ويُرى أن الشيخ كوثر النيازى غير متفق بهذه الفكرة كما يكتب فى مقالته :

ممّا يؤسف له ان أكثر الناس يزعمونه مؤسس الفرقة البريلوية، رغم أنه باعتبار مسلكه حنفى وسلفى فقط (ص : ١٨)

الدكتورة اوشاسانيال ، طالبة جامعة كولمبيا ، امريكا ، التى نالت شهادة الدكتوراة بكتابة بحث حول موضوع "الحركة البريلوية" حين سمعت منى بأن البريلوية ليست فرقة جديدة، فاستغربت وتحيرت، وعند ما كُشف لها الغطاء عن هذه الحقيقة استغرقت فى التفكير، وهذه الحقيقة لاتفهم بسهولة ، لأن اكثر الناس يزعمون ان البريلوية فرقة جديدة ، أنشأها الامام احمد رضا ، ولكن عند ما نلتفت الى الشيخ ابى يحيى امام خان ، احد زعماء اهل الحديث نجده يعترف بأن الديوبنديين المخالفين لقبوا اهل السنة والجماعة بهذا اللقب، فاختاروا هذا اللقب واشتهروا بالبريلوية :

مومن کی یہ پہچان کہ گم اس میں ہے آفاق

(آية المؤمن ان العالم طراً مختف فيه)

كان هذا شأن السلف الصالحين فى الماضى ، ولهذا اعتبر الشيخ كوثر النيازى أن الامام احمد رضا حنفى وسلفى فقط، ثم تشتت المسلمون بمرور الزمان فى الطوائف الصغار بعد انقطاعهم عن الاصل ، وهذه آفة قومية أفسدت تشخص الملة الاسلامية ، والآن كل مسلم متفكر ، ولكن ليس احد يعتنى بتشخيص هذا المرض وعلاجه ·

كانت التهمة الثانية على الامام احمد رضا بأنه كان مبتدعا وأن
بدا كبيرة فى نشر البدع ، وازبعت هذه التهمة حتى اعتبرها النا
حقيقة ، رغم أن الامر على العكس تماماً، وقدم الشيخ كوثر النيازى
شواهد قوية تدل على أن الامام احمد رضا فندالبدع ودحضه
ويقول الشيخ مستغرباً :

"ما هذا الاعتداء الغريب بأن الذى كان مفند البدع
عد من مؤيدى البدع " (ص : ١٧)

والتهمة الثالثة على الامام احمد رضا أنه كان متعوداً بتكف
المسلمين وافتى بالكفر على من شاء ، ولكن هذه التهمة على عكس
الحقيقة، ولايمكن إخفاء هذه الحقيقةالدامية بأن قادة المتهمين معيبو
بتكفير المسلمين بل باراقة دمائهم ايضا ، إنما بحث المتهمون منه
نشر الاتهامات على الامام احمد رضا لستر اخطائهم ، على كل حا
قول الشيخ كوثر النيازى مقبول فى هذا الامر، وكان محرك فتو
التكفير لديه محبة الامام احمد رضا بالرسول ﷺ ، وقد اعترف
بهذه الحقيقة من كفرهم الامام احمد رضا ، لتنقيصهم فى شان الرسو
الكريم ﷺ كما يظهر من مطالعة مقال الشيخ اشرف على والشيخ
محمد ادريس الكاندهلوى :

يقول الشيخ كوثر النيازى :

"ان هذا التشدد الذى يُتهم به الامام احمد رضا هو الذى
يبرز لنا مفتاح شخصيته ، ألا وهو الفناء فى حب الرسول
ﷺ، ولقد بلغ فى فنائه هذا الى اكمل الدرجات واعلاها ،
ووصل فى محبته لحضرة المحمدية الى ذروة صفائها ومداها

فلذا كان لا يصبر على ادنى جهة الاهانة لحضرة النبوية
الشريفة قليلا وخفيفا ، لا يصبر على ما يشم منه أدنى إهانة
لمقام الرسول الكريم (ص ٢٠)

ثم يقول فى موضع آخر :

"إن منهج التزام الادب والحزم فى رعايته يبدو فى كل
كلمة من كلمات الامام احمد رضا" (ص : ٢١)

ثم يقول بعد ما تقدم قليلا :

قد اتضح الآن أن ما ظنه المخالفون شدة من الامام ، ليست
فى الحقيقة إلا حبا فاض من أعماق قلبه للرسول ﷺ، ويلمع هذا
الحب من أدبه للمقام النبوى ورعايته للشريعة الغراء فى كل
مكان ، بين قصائده وفتاواه وترجمة القرآن الكريم ، وضوح
الشئ فى رابعة النهار (ص ٢٧)

وما قال الشيخ كوثر النيازى اتى بالدليل عليه واستدل
على موقفه فى ترجمة القرآن للامام احمد رضا وقام بالمقارنة بين ترجمة
الامام احمد رضا وتراجم الشيخ محمود حسن (الديوبندى) والشيخ
عبد الماجد دريابادى ، والشيخ ابى الاعلى المودودى ، ورغ
هذا الموقف الصائب . نرى بحيرة القرار الحاسم على امتناع
دخول ترجمة القرآن للامام احمد رضا فى بعض البلاد الاسلامية
والسكوت على هفوات رشدى الملعونة وهذا امر يدهش الشيخ
كوثر النيازى فيسألهم متحيرا :

"ومن المفارقات العجيبة أن اولئك المفرقين والمضللين
لايفتحون لسانهم على هفوات رشدى الملعونة ولايمشون

خطوة مع العالم الاسلامی حتی لا یغضب علیهم أولیائهم ، لکنهم منعوا دخول ترجمة الامام أحمد رضا إلی بلادهم الترجمة التی هی خزانة حب الرسول الکریم ومنبع المعارف الاسلامیة" (ص : ٢٣)

وفی الحقیقة هؤلاء الاولیاء ، اولیاء النعمة ، یرغبون فی نمو هذه الاهانات حتی تبقی الملة الاسلامیة جسدا خالیا من الروح فقط ، ولهذا تسبب المهینون لوضع القیود علی کنز الایمان (ترجمة القرآن للامام احمد رضا) وکان هذا الامر فی خفاء حتی الآن بأن الذین ارتکبوا الاهانة فی حضرة الرسول ﷺ لهم علاقات طیبة مع اولیاء النعمة ، وکان هذا افتراء علی الامام احمد رضا حتی الیوم ، ولکن مشکلة التاریخ قد اظهرت کل شیء ، وکشف مرور الایام غطاء عن المؤیدین للانجلیز ، وهل کان الامام احمد رضا محامیا للانجلیز ام المخالفون له الذین منعوا إدخال ترجمة القرآن کنز الایمان فی بلادهم ـ

آفتاب آمد دلیل آفتاب

(الشمس نفسها شهادة علی وجودها)

ولقد بحثنا فی ضوء الشواهد التاریخیة عن حقیقة تهمة حمایة الانجلیز علی الامام احمد رضا فی مقالة تحت عنوان "گناہ بے گناہی" (ذنب عدم الجرم) (ط : لاهور ١٩٧٨م) فاطلعنا علی هذه النتیجة بأن الامام احمد رضا بریء عن هذه التهمة ، رغم المخالفین له فانهم لم یکونوا منزهین عن تایید الانجلیز ، عند ما أفتی الامام احمد رضا بأن الهند دار الاسلام ولیس بدار الحرب ، انکر موقفه المخالفون ،

لانهم کانوا یریدون الحرب لمصالحهم الذاتیة رغم ضعف المسلمین ایضا ، ولکن الامام احمد رضا ابطل عزائمهم الفاسدة بفتواه . ولکن العجب من هؤلاء الزعماء الذین کانوا یزعمون فی شأن الهند بأنه دار الحرب فی عهد الاستعمار . یزعمونه دار الاسلام فی عهد الهندوس . فیستغرب الشیخ کوثر النیازی من هذا التضاد فیقول :

ومن الغریب أننا نجد هؤلاء العلماء الذین کانوا یصرون علی اعتبار الهند دار الحرب فی عهد الاستعمار . صامتین الیوم فی عهد الهندوس ... ونری ورثة اولئك الذین افتوا فی الماضی أن الهند دار الحرب صامتین الیوم لا یفتون بشیء ، انهم بهذا الطریق یؤیدون عملیا فتوی الامام احمد رضا وموقفه الذی دل علی حکمته ونفاذ بصیرته (ص : ٢٩)

باللاسف ! علی استحصال الاستعمار المذهب فی القرن العشرین الذی هو مستمر حتی هذا الیوم ، ومع هذا بدأوا استحصال الافلاس ایضا . وکان الامام احمد رضا یخالف هذا الاستحصال فی عهد الاستعمار . فالافتراء علی مثل هذا الرجل بأنه عمیل للاستعمار امر غریب ـ

الامام احمد رضا لم یکن زعیما سیاسیا انما کان حکیما مدبراً ، لان الزعیم السیاسی یکون نباض الشعب والحکیم المدبر یکون نباض الزمان ونظرة الزعیم السیاسی تکون علی الشعب ، رغم الحکیم المدبر فإن نظرته تکون علی الزمان . وهذا هو الفارق بینهما ، ما احسن قول الشاعر :

ایام کا مرکب نہیں راکب ہے قلندر

(الحكيم لا يكون مركب الايام ،انما هو راكبها)

يقول الشيخ كوثر النيازى مشيرا الى هذه الحقيقة:

"ومما يجب أن يُفهم أن الامام احمد رضا لم يكن زعيماً سياسياً ،انما كان حكيما مدبراً، فالزعماء السياسيون يتبعون اهواء الشعب أما الحكماء والمدبرون فهم يتنبأون بالمستقبل ويخططون له (ص : ٢٨)

كان هذا تخطيطه وتفكيره فى المستقبل ، بينما كان محمد على جناح ، والدكتور اقبال مقتنعين بفكرة القومية المتحدة، وكان الامام احمد رضا هو الذى رفع علم القوميتين عندئذ ، وفى بداية الامر أهمل الزعماء المسلمون رأيه ولكن بعد مرور فترة يسيرة تنبه اليها الزعماء المسلمون ، فنرى أن محمد على جناح والدكتور محمد اقبال رغبا فى فكرة القوميتين وجعلوها الاساس الفكرى والسياسى لهم ؛ يقول الشيخ كوثر النيازى فى ضوء هذه الظروف:

"رفع الامام احمد رضا صوته ضد فكرة غاندى القومية الهندية المتحدة — وفى الوقت الذى كان العلامة اقبال — الشاعر القومى لباكستان — والقائد الاعظم — مؤسس باكستان — مقتنعين بفكرة غاندى وغير مدركين لخطورة أبعادها ، والنظر الغائر يحكم بأن الامام أحمد رضا فى نظرية القوميتين امام لها وهما مقتديان له ، ولم تنجح حركة باكستان لولا تنبيهه على مؤامرات الهندوس ولما وراء أفكار غاندى (ص : ٣٠)

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول: أن الامام أحمد رضا قدوة للعلامة محمد إقبال وكذلك القائد الاعظم فى جهادهما و جهودهما ، لنجاح حركة استقلال باكستان ، ولم تنشر فكرة استقلال باكستان لولا تنبيه الامام احمد رضا للمسلمين على مؤامرة الهنادكة

مضت مدة طويلة بأننا أشرنا الى هذه الحقيقة فى مقالتنا الانجليزية، وعند ما طالع هذه الاوراق المؤرخ الشهير ومتخصص التعليم الدكتور اشتياق حسين القريشى الراحل ؛ سألنا الدكتور رحمه الله تعالى عن تلك الشواهد قيل على اساسها إن محمد على جناح والدكتور محمد اقبال تأثرا عن الامام احمد رضا فى فكرة القوميتين فاجبناه بأن فكرة القومية المتحدة عندئذ كانت منتشرة فى انحاء الهند . وكان الامام احمد رضا هو الرجل الوحيد الذى نشر فكرة القوميتين فى اطراف الهند . ولهذا تأثر جناح واقبال من شخصية الامام احمد رضا وهذا أمر بديهى لا يحتاج الى شواهد أكثر من هذه الحقيقة . مع أنهما كانا من المعاصرين للامام احمد رضا. أصاب الشيخ كوثر النيازى حين قال :

ومن سوء الحظ أن قومنا متطرف فى امورها (ص : ٣١)

ويبدو هذا التطرف فى حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة وحركة ترك الحيوانات وحركة الكتان وحركة الهجرة، وكان الامام احمد رضا يمشى بعد التفكير العميق بالاعتدال فى الامور السياسية . خاصة عند مواجهة عدو لدود وقوى ، والاسف أن الشعور الملى انتقل من ايدى الحكماء المدبرين الى ايدى الزعماء السياسيين فيعملون كما يشاؤن .

يقول الشيخ كوثر النيازى وهو يتحدث عن تدبر الامام احمد رضا :

"ومن الصعب فى مثل هذه الظروف الكارثة إهمال المخالفات والاستمرار فى نشر فكرة القوميتين – القومية الاسلامية والقومية الهندوسية . ويبدو الثبات على مسلك الاعتدال مستحيلا لكن الامام أحمد رضا ذا القوى العظيمة استطاع أن يكون الرجل الذى يتغلب على هذه الظروف القلقة ويثبت على مواقفه المبدئية ، بدون ان يستسلم لحماس الذى كان يقود كثيرا من الزعماء والعلماء ، والقول بأن الامام احمد رضا كان يعمل لتقوية الانجليز وتثبيت شوكتهم فهذا قول من لم يعرف ابعاد شخصية الامام (احمد رضا) ومواقفه ومسالكه او تنكر لها على معرفة ايضا (ص : ٣١)

والحقيقة أن هذه البصيرة والاستقامة منحت للامام احمد رضا بسبب عشقه بالرسول ﷺ ، وكان مسلكه مسلك حب و عشق وكان مفديا للرسول ﷺ ولدينه الاسلام . ويبدو حبه فى قصيدته السلامية ؛ يُسمع دويها فى الشرق والغرب .

يكتب الشيخ كوثر النيازى عن هذه القصيدة السلامية :
استطيع ان اقول بدون تردد إننا لو وضعنا مدائح جميع اللغات والازمنة فى جانب واحد وقصيدة الامام احمد رضا فى جانب آخر من الميزان لرجحت كفتها ، ومطلع قصيدته

مصطفى جان رحمت پہ لاكهون سلام

(مئات آلاف التسليمات على روح الرحمة مصطفى ﷺ)

ثم يقول بعد قليل :

"ومن المؤسف أن هذه القصيدة السلامية لم تلق ما يجب ان تلقى من إهتمام الباحثين والافاضل من الممكن انجاز بحوث كثيرة فى شرح كل بيت من أبيات هذه القصيدة المباركة (ص : ٢٥)

هذا المستوى الرفيع لشعر الامام احمد رضا ليس الا بسبب حبه بالرسول ﷺ ، ولهذا نرى اليوم أن التحقيق عليه مستمر فى بعض الجامعات ؛ مثلا جامعة بنجاب (لاهور) الجامعة العثمانية (حيدر آباد ، دكن) جامعة كلكته (الهند) جامعة برنگهم (انجلترا) وقد طبعت مقالات علمية حول شعره بكثرة ، كلما نرى حب الامام احمد رضا بالرسول ﷺ نتذكر ذلك الحديث النبوى الشريف الذى اخبر فيه النبى ﷺ عن محبيه فى آخر الزمان ، عن ابى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

"من اشد امتى لى حبا ناس يكونون بعدى ، يود احدهم لو رآنى باهله وماله" (الشفاء ، للقاضى عياض ١٧/٢)

وبعد قراءة هذا الحديث النبوى الشريف نتذكر هذه الكلمات للامام احمد رضا التى قالها فى مرتكبى الاهانة فى حضرة الرسول ﷺ فقال :

"اتق من إهانة سيدنا محمد ﷺ ولو على شرط أن تسب هذا العبد الفقير واباه وجده واكابره من العلماء قدست اسرارهم، وما احسن حظى بأن تكون عرضى وعرض آبائى واجدادى جنة لعرض سيدنا محمد ﷺ (حسام الحرمين ط : لاهور ، ص ٥١-٥٢)

وبالايجاز يمكن لنا أن نقول إن هذه المقالة للشيخ كوثر النيازى يدعو النبلاء الى الفكر، ويعلمنا منهج معرفة شخصية الامام احمد رضا ويكشف لنا عن نواحى مختلفة لافكار الامام احمد رضا، ندعو الله تعالى ان يوفقنا قبول الحق حتى يتحقق التضامن الاسلامى.

دكتور: محمد مسعود احمد
عميد الكلية الحكومية للشهادة، سكهر
سنده: باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

عند ما تُستخدم كلمة "آن حضرت" فى اللغة الأردية يُقصد بها سيدنا ومولانا محمد ﷺ، أما لقب "اعلى حضرت" فيراد به احد خدام الجناب النبوى وهو الامام احمد رضا(١) (١٢٧٢هـ - ١٣٤٠هـ) ونجد عند التأمل أن هذه المرتبة لم تمنح له لحسن ظن اتباعه. إنما هى منحة الهية، اكرمه الله تعالى بها بسبب فنائه فى حب الرسول ﷺ وبسبب شخصيته الجامعة، وفى شبه القارة الهندية شخصيات كثيرة بارزة تتجلى فيها صفات الخير والصلاح ولكن عند ما يطالع رجل محايد هذه الشخصيات جميعا ويدير بصره فيها نجد أن شخصية الامام احمد رضا هى الشخصية الوحيدة التى يمكن أن تعتبر جامعة. اى علم وفن لم تكن للامام احمد رضا فيه براعة فائقة؟ التفسير، الحديث، الفقه، الهندسة، الهيئة، الجفر، الكيميا، الاقتصاد، الرياضيات، الطبعيات، السياسيات، الطب، الجغرافية، التاريخ، المناظرة، المنطق، الفلسفة، الجبر والمقابلة، النحو، الصرف، علم المعانى، علم البيان، علم البديع،

١- ينتمى الامام احمد رضا الى قبيلة افغانية بڑهيچ فهو افغانى نسبا، حنفى مسلكا، وقادرى طريقة وهندى برياوى موطنا، تقع مدينة اريلى فى يو - پى احد الاقاليم الهندية وبسبب نسبته الى هذه المدينة اشتهر بالبريلوى — السديدى

القراءة والتجويد ، التصوف، السلوك، علم اللغة ، الشعر ، الادب ، خط النسخ ، والنستعليق وغير ذلك، عدّد كُتّاب سوانحه ستين علماً كان الامام فيها جميعا قدوة، ولم يكن فقط اديبا عظيما او خطيبا بارعا احاذا ، بل كان مع هذا وذاك مناظرا بارعا ومتكلما فقيها، ومحدثا مفسرا ، ومع كل هذا سياسيا بطلا ، ولم يخطئ الامام احمد رضا عند ما تحدث عن نفسه من باب التحديث بالنعمة :

ملک سخن کی شاہی تم کو رضا مسلم
جس سمت آگئے ہو سکے بٹھا دئے ہیں

الترجمة (ايها الرضا ! قد منحت لك السلطة وامارة الكلام
والى أى ناحية جئت تغلبت)

ومن المفارقات العجيبة أن اكثر ابطال التاريخ من العلماء قد ظلمهم التاريخ وعند ما نتصفح تاريخ الابطال العلماء نجد الناس قد انقسموا ورائهم قسمين، قسم يرتبط بهم برباط الحب الشديد والآخر يخالفهم الى حد المعاداة الكاملة ، ولا يخفى أن هذه المعاداة إنما تعتمد على الدعايات الكاذبة التي ينشرها الاعداء لتشويه تاريخهم واثارة الغبار على جهادهم وجهودهم ولنا مثل واضح فى امير المؤمنين على ابن ابى طالب ﷺ حين اتخذه النصيرى الها ، رغم الخوارج الذين كفروه، ولنا مثل فى الماضى القريب فى شخصية محمد على جناح "مؤسس باكستان" لقبه المحبون له بالقائد الاعظم، حين وصمه المفتون المفسدون بالكافر الاعظم ، لم يكن الامام احمد رضا بدعا فى هذا الباب ، فالذين كانت لديهم معرفة كاملة بجوانب شخصيته اعتبروه أبا حنيفة عصره فى شبه القارة وأما الذين خالفوه وعادوه زعموه مبتدعا متشدداً

وموا ليا مؤيداً للانجليز ؛ مع اعترافهم بعلمه وحكمته

منذ القديم كانت المعاصرة سبب المنافرة وقولهم "المعاصرة حجاب" لايخفى على احد، لكن الاسف أن غارات النقد على الامام احمد رضا لم تنقطع، حتى بعد وصاله باحد وسبعين عاماً . ان هؤلاء الذين لبسوا النظارات السوداء نظارات العصبية لم يحاولوا رؤية وجهه اللامع ولو انصف النقاد لأدركوا من اول وهلة أن الدعاية الكاذبة المنتشرة ضد الامام احمد رضا لبس سوى افرازات الظلمات المسيطرة على قلوبهم وصدى الصدأ الرائن على افئدتهم، إن كل كلمة صادرة عن قلم الامام احمد رضا او قوله وفعله ينادى بلسان الحال :

نہ شبم نہ شب پرستم کہ حدیث خواب گویم
چوں غلام آفتابم ، ہمہ ز آفتاب گویم

الترجمة : (لست ليلة ولا من عُباد الليلة حتى اتحدث عن الرؤيا ، إنما انا محب الشمس ولا اقول الا عن الشمس)

ما هذا الاعتداء الغريب بأن الذى كان مفند البدع عد من مؤيدى البدع ، إن الذى يمعن النظر فى فتاواه وافكاره يتيقن بانه وقف ضد كل منهج يخالف منهج الرسول ﷺ وقفة شديدة لم يقف مثلها احد غيره ، وعند ما الف احد معاصريه خواجه حسن النظامى رسالة فى جواز سجدة التعظيم لحضرة المرشد الف فى رده الامام احمد رضا رسالة سماها الزبدة الزكية فى تحريم سجود التحية ، اثبت فيها حرمة سجود التحية بمائة آيات واحاديث(١) ولقد كان عامة الناس

١- اشار الى منزلة هذه الرسالة الاستاذ ابو الحسن على الندوى حيث يقول :
وهى رسالة جامعة تدل على غزارة علمه وقوة استدلاله (نزهة الخواطر ٨/٤٤)
ممتاز احمد السديدى

يزعمون ـ ولايزالون ـ أن وجود المرشد لازم لوجود الاسلام ، لكن الامام احمد رضا قال فى كتابه المشهور "السنية الانيقة":

وفى نهاية الامر لابد من اليقين بأن النبى ﷺ هو المرشد الحقيقى ـ

وقد كان الامام احمد رضا يخالف ايقاد المصابيح واشعال الشموع على القبور وبقى بدعيته الا فى حالة واحدة وهى عند ما يكون القبر فى الطريق او فى المسجد ويستفيد من ضوئه المارة والمصلون ، وفى هذه الايام ينفق اموال ضخمة على تزيين المقابر باردية كثيرة تقليديا، وهذه الاردية تستخدم لتعميم الامراء والوزراء فقط؛ لكنه كان يُجوِّز إكساء رداء واحد على القبر ، ويقول: ان النقود التى تنفق لاجل الاردية اولى بأن يتصدق بها على الفقراء والمساكين ويهدى ثوابها لروح ذلك الولى المبارك ـ

ويزعم بعض الناس الذين لم يقفوا على مسلك الامام احمد رضا أن السماع (القوالى) شعار مدرسته مع أنه حرم السماع بالمزامير فى كتيبة له "مسائل السماع"ـ

ومما يؤخذ عليه بأنه شديد على العلماء فى التكفير حيث كفر كبار العلماء واكابر المسلمين ولكننى اقول : إن هذا الامر وحده هو الذى جعله فريداً بين زعماء المدارس الفكرية الاخرى ـ

ومما يؤسف له أن اكثر الناس يزعمونه مؤسس الفرقة البريلوية رغم أنه باعتبار مسلكه حنفى وسلفى فقط(١) والمدرسة التى تقابل مدرسة

١ـ واعترف بهذه الحقيقة اكابر غير المقلدين المعارضين للامام احمد رضا كما يأتى يقول الشيخ ثناء الله الامرتسرى "قبل ثمانين سنة كان جميع المسلمين (فى

الامام احمد رضا هى "الديوبندية" وهم لايختلفون عن الامام احمد رضا فى معظم عقائدهم فهم ايضاً يأخذون بنظام الارشاد او المرشد والمريد ويعترفون بفيوض اهل القبور ويخالفون الخروج عن المذاهب الفقهية الاربعة ورفض التقليد ويرجحون فقه الامام ابى حنيفة على فقه سائر الائمة ، فهم فى كل هذا مثل الامام احمد رضا تماماً ، إنما بدأ الخلاف بينه وبينهم عند ما لم يلتزم بعض كبار العلماء الديوبنديين جانب الحذر عند حديثهم عن الرسول ﷺ ، فصدرت منهم اقوال غير محترسة، اعتبرها الامام احمد رضا عن يقين بأنها مهينة للمكانة النبوية الشريفة ، وهذا هو الامر الذى جعله اعتمادا على عنصر الاهانة لمقام الرسول ﷺ يفتى بضلال اولئك العلماء وكفرهم، ويظهر عند التدقيق

امرتسر) على تلك المعتقدات التى هى عقائد البريلويين اليوم"

(شمع توحيد ص : ٤)

(يقول الشيخ ابو يحيى امام خان عن البريلوية "هذه الجماعة من دعاة التقليد لكن المقلدين الديوبنديين يسمونها البريلوية"

(تراجم علماء اهل الحديث ص : ٤٠)

يقول الشيخ احسان الهى ظهير، عن البريلوية : "انها جديدة من حيث النشأة و الاسم ، و من فرق شبه القارة الهندية من حيث التكوين و الهيئة ، و لكنها قديمة من حيث الافكار والعقائد" (البريلويه ص : ٧)

و يقول فى موضع آخر : "وجدت نفس العقائد و المعتقدات ـ ـ ـ فى البلدان المسلمة الاخرى من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ومن افريقيا الى آسيا" (ص: ١٠)

فاتضح قول الشيخ كوثر النيازى و كل رجل عابد يستطيع ان يطلع على هذه الحقيقة (ممتاز احمد السديدى)

أن هـذه الفتاوى المتعلقة باحترام المقام النبوى والذود عنه هى ما تميز مدرسته عن بـاقى المدارس الفكرية وهذا هو العنصر الاساسى الذى كان عليه مدار اختلافه مع الشيوخ الديوبنديين ـ

لن هذا التشدد الذى يتهم به الامـام أحمد رضـا هو الذى يبرز لنا مفتاح شخصيته ألا وهو الفناء فى حب الرسول ﷺ .ولقد بلغ فى فنائه هذا الى اكمل الدرجات واعلاها ووصل فى محبته لحضرة المحمدية الى ذروة صفائها ومداها ، فلذا كان لايصبر على ادنى جهة الاهانة لحضرة النبوية الشريفة قليلا وخفيفا ولايصبر على ما يشم منه ادنى اهانة لمقام الرسول الكريم ﷺ ، وعند ما كان يلحظ انفـاسه الاخيرة اوصى ورثته ومحبيه :

"ابتعدوا من كل من تجدون منه ادنى اهانة لحضرة الرسول ومقـامـه ﷺ او ادنى استخفاف بشريعة الله ونظامـه ، مهما يكن ذلك الرجل معظماً حتى ولو كان شيخاً مكرماً، انزعوه من قلوبكم مثل نزع الذباب من الحليب" (وصايا شريف)

لقد درست صحيح البخارى على شيخ الحديث ، حضرة الاستاذ محمد ادريس الكاندهلوى من اشهر العلماء الديوبنديين وكان يقول عند ذكر الامام احمد رضا: "إن مولانا احمد رضا خان سيغفر له بسبب هذه الفتاوى وسيقول الله له: يا احمد رضا غفرتك على حبك لحبيبى ذلك الحب الذى تمكن فى سويداء قلبك حتى أنك لما تيقنت بـاهانتهم لحضرة النبوية القدسية لم تعف هؤلاء العلماء الكبار وكفرتهم! اذهب فقد غفرتك على هذا العمل الوحيد". ومثل هذا ماسمعته من المفتى الكبير بباكستان الشيخ محمد شفيع الديوبندى يقول: "عند ما وصل مولانا اشرف على التانوى خبر وفاة الامام احمد رضا، اسرع برفع يديه الى السماء للدعاء ولما فرغ

من دعائه سأله احد الحضار منذ هشا : لقد استمر هذا الرجل يكفّركم طوال الحياة فكيف تدعو له الآن بالمغفرة؟ فقال (وهذا مما يجب ان يفهم) إن الشيخ احمد رضا افتى بكفرنا لما تيقن أننا ارتكبنا جريمة إهانة المقام النبوى، ولو لم يكفرنا مع وجود هذا اليقين لديه لكفر بنفسه ـ

فالحقيقة ان ما ظنه الناس شدة من الامـام احمد رضا ليست الا شدة حبه بالرسول ﷺ وليست الا نتيجة رعايته لحرمـات ذلك المقـام وادبه ، وشاعر نـا لم يطلق لسانه بمجرد شعر ، بل ادى وظيفه ترجمـان الشريعة ، حين قال :

ادب گہیست زیر آسمان از عرش نازک تر
نفس گم کردہ می آید جنید و بایزید اینجا

(هذا المكان أعز من العرش تحت ظل السماء ، يأتى جنيد وبـايزيد ممسكين انفسهما خشية اساءة الأدب)

وقلت فى احد ابياتى ، وقد يكون من المناسب ايراده ههنا :

لے سانس بھی آہستہ کہ دربار نبی ہے
خطرہ ہے بہت سخت ، یہاں بے ادبی کا

(تنفس بالهدوء فى حضرة الرسول الكريم ﷺ ، هناك موضع خطر شديد لا ساءة الأدب)

إن منهج التزام الأدب والحزم فى رعايته يبدو فى كل كلمة من كلمات الامـام ، وان عبير العشق ينشر شذاه فى جميع اقوال الامـام ، كان هذا دأبه وديدنه ، لقد كان هـذا الحب الشديد دينـه وعقيدتـه ، وان حساسيته المرهفـة واشعة محبته الفياضة تجاه مقام الرسول الكريم

تعلن عن نفسها فى ترجمته لمعانى القرآن الكريم اقرؤا إن شئتم ترجمته للآية الكريمة : "ووجدك ضالا فهدى" ان ترجمة هذه الآيه تتطلب الدقة ، فالقرآن الكريم يشهد بأنه "ما ضل صاحبكم وما غوى" بمعنى أن الرسول ﷺ لم ينحرف عن سبيل الهداية ولم يتخبط "ضل" فى الآية الكريمة فعل ماض يعنى أنه ﷺ لم يضل فى الماضى قط ، واللغة العربية بحر واسع جدا ، فكلمة واحدة تحتمل معانى كثيرة والمترجمون يستخرجون مفهوماً ما حسب معتقداتهم وافكارهم. لقد كان الواجب أن تترجم الآية الكريمة "ووجدك ضالا فهدى" فى ضوء الآية "ما ضل صاحبكم وما غوى" حتى يمكن مراعاة عظمة الرسول ﷺ. لكن المترجمين لم ينصفوا فى ترجمة هذه الآية الكريمة ـ

ترجمها شيخ الهند مولانا محمود حسن قائلا "ووجدناك تائها فهديناك" ويمكن الاعتذار للشيخ محمود حسن بانه لم يكن اديبا بارعاً . فأخطأ فى الترجمة فانظروا الى ترجمة اديب بارع وشاعر كبير اشتغل بالكتابة والصحافة الشيخ عبدالماجد دريا بادى حيث يقول "ووجدناك غافلا عن الطريق فهديناك الطريق" ومرة اخرى قد نسمح الشيخ دريا بادى فانه كان من اهل الأردية القديمة ، ولكن نلتفت الى الشيخ ابي الأعلى المودودى من كتّاب الأردية الفصحى فنجده يترجم الآية الكريمة "ووجدناك لا تعرف الطريق فارشدناك"

والأن احتفظ فى ذهنك تلك الوساوس التى نشأت بسبب ضلالة الرسول المزعومة ثم هدايته ، ثم انظر الى ترجمة الامام احمد رضا لهذه الآية الكريمة ، فقد ترجمها ترجمة لائقة بمقام الرسالة المحمدية ، مثيرة للعشق المحمدى فقال "ووجدناك فانياً فى محبتنا وتائها فى وديانها

فهديناك الينا"

ومن المفارقات العجيبة أن اولئك المفرقين والمضلين لا يفتحون لسانهم على هفوات الرشدى الملعونة ، ولا يمشون خطوة مع العالم الاسلامى حتى لا يغضب عليهم اوليائهم ، لكنهم منعوا دخول ترجمة الامام احمد رضا الى بلادهم، الترجمة التى هى خزانة حب الرسول الكريم ومنبع المعارف الاسلامية ـ

الشعر مجال آخر ، والمديح النبوى اصعب انواع الشعر من الغزل وغيرها من الانواع الشعرية ، يزل فيه الانسان بدون شعور الخطورة وبدون التزام صور الأدب والحزم، فيضع الشاعر قدمه على جسر الصراط ، حيث هناك محبة فى جانب ، والشريعة فى جانب آخر ، لقد قال احد الشعراء وهو يصور مشاعره عند قدومه الى روضة الرسول ﷺ ـ

کس بیم و رجا کے عالم میں طیبہ کی زیارت ہوتی ہے
اک سمت محبت ہوتی ہے ، اک سمت شریعت ہوتی ہے

(تكون زيارة طيبة فى حالة تجمع بين الرجاء والخوف لأن المحبة فى جانب والشريعة فى جانب آخر)

لكن هذه الحالة لا ينحصر وجدانها عند زيارة الروضة المباركة فقط ، انما يعانى الشاعر نفس المشكلة عند كل بيته فى المديح النبوى فكل بيت فى هذا المجال يعانى مشكلة التوفيق بين مقتضيات المحبة ومقتضيات الشريعة ، فالحق أن مراعاة الشريعة مجردة عن مشاعر المحبة لا تبقى الشعر شعرا، كما أن مراعاة المحبة فقط قد تسبب انحرافاً

عن الشريعة وانزلاقاً ، فالأمر فى الحقيقة مشكل جدا ، ولقد صور العرفى الشيرازى هذه المشكلة فى بيت له قائلا :

عرفى مشتاب اين رہ نعت است نه صحرا
آهسته كه ره بردم تيغ است قدم را

(ايها العرفى ! لاتمش بسرعة ، إن هذا ميدان المدح النبوى ، إنك لست فى الصحراء ، فتمهل فى سيرك خطوة بعد خطوة لأنك تمشى على حد السيف)

لقد كان الامام احمد رضا يحس هذه المشكلة التى يعانيها مادح الرسول احساسا صادقا ، عبر عنه فى دقة فقال فى ملفوظاته : "مدح النبى ﷺ كالمشى على حد السيف ، لو بالغت زاحمت الالوهية ، ولو قصرت ارتكبت النقيصة ، يكاد الامام دقيقا للغاية عند ما قال فى مقام آخر: "لقد تعلمت المدح النبوى من القرآن الكريم" واذا امعنا النظر فى تراث شعر الامام احمد رضا فى المدح النبوى نجد هذا المعيار القرآنى واضحا كل الوضوح .

لا يخفى على احد بأنى طالب فى الأدب واقول الشعر ايضا ، لقد طالعت المدح النبوى فى اللغات ، الأردية والفارسية والعربية من خلال خبرتى الخاصة المباشرة بهذا التراث الشعرى فى هذه اللغات ، استطيع أن أقول بدون تردد إننا لو وضعنا مدائح جميع اللغات والازمنة فى جانب واحد وقصيدة الامام أحمد رضا فى جانب آخر لرجحت كفتها ومطلع قصيدته:

"مصطفى جانِ رحمت پہ لاكهوں سلام"(١)

(آلاف التسليمات على روح الرحمة مصطفى ﷺ)

ولا ابالغ اذا قلت أن قصيدته الشهيرة هذه هى قصيدة البردة فى الأردية ، أنها قصيدة عميقة ذات ابعاد وانوار ، تلك اللغة والبيان ، والحرقة والفناء ، ومعارف السيرة وحقائقها ، والأسرار القرآنية والحديثية ، وقوة الكلام ورشاقة الأسلوب ، التى نجدها فى هذه القصيدة السلامية لانجدها فى أية نماذج شعرية ، فى أية لغة اخرى ، ومن المؤسف أن هذه القصيدة السلامية لم تلق ما يجب أن تلقى من اهتمام الباحثين ، والا فمن الممكن انجاز بحوث كثيرة فى شرح كل بيت من ابيات هذه القصيدة المباركة ، تاملوا هذا البيت المبارك من ابيات الامام احمد رضا ، واتحدى انكم لم تقرؤا بيتا احسن واعمق من هذا البيت فى مدح المحبة المباركة للرسول الكريم ﷺ ، تصوروا نهراً تحيط به خضرة يزداد بها النهر حسنا وبهاء ، فالذى شبهه بالنهر هو الفم المبارك للرسول الكريم ﷺ ، إن الامام احمد رضا جعل الفم المبارك نهر الكرم ، لأن الرحمة تتفجر من فمه المبارك ، قال احد شعراء الفارسية :

نرفت "لا" بزبان مباركش بر گز
مگر باشهد ان لا اله الا الله

١ـ هذه القصيدة السلامية تشتمل على ـ ١٧٠ ـ ابيات وكل بيت ينتهى بـ "لاكهوں سلام" معناها مئات آلاف التسليمات وهذه القصيدة شهيرة فى الهند و بنغلاديش و باكستان باسم "سلام رضا" وقد حولها الى اللغة الانجليزية بروفيسور غياث الدين القريشى (لندن) وطبعها المكتبة القادرية بالجامعة النظامية الرضوية داخل باب اللوهارى، لاهور، باكستان (السديدى)

(لم تُسمع كلمة لا من لسانه ﷺ الا فى اشهد ان لا اله الا الله)

ويقول الامام احمد رضا فى احد قصائده :

واہ کیا جود و کرم ہے شہ بطحا تیرا
"نہیں" سنتا ہی نہیں مانگنے والا تیرا

(ما احسن جودك وكرمك يا ملك البطحاء ! ان سائلك لايسمع كلمة "لا")

ان نهر الرحمة والفم المبارك هو الذى دعا ربه بقوله " الهم اهد قومى فانهم لا يعلمون" بينما كان اهل الطائف يمطرون عليه ﷺ وابل الحجارة ، حتى سال الدم من رأسه المبارك الى نعاله المقدسة ، واذا شبه هذا الفم المبارك بالنهر فماذا شبه اللحية المباركة؟ انما شبهت بالخضرة الممتدة المحيطة بذلك النهر ، الآن لاحظوا هذا البيت :

خط کی گرد دہن وہ دل آرا پھبن
سبزۂ نہر رحمت پہ لاکھوں سلام

(ما احسن اللحية الى القلب حول فمه المبارك ، مئات آلاف التسليمات على خضرة نهر الرحمة)

يتقدم الامام فى المدح فبعد أن يمدح النبى ﷺ ، وازواجه الطاهرات ، واصحابه الكرام والاولياء الكبار ، وبخاصة حضرة السيد الشيخ عبد القادر الجيلانى ، يأتى بالسؤال ، فيتقدم بطلبه الذى ليس طلباً خاصاً لشخصيته بل هو طلب للامة المسلمة كلها حيث يقول :

ایک میرا ہی رحمت پہ دعوی نہیں
شاہ کی ساری امت پہ لاکھوں سلام

(لا ادعى الرحمة لنفسى فقط ، بل مئات آلاف التسليمات على جميع امة سيد الكونين ﷺ)

انظروا الى ماذا يريد الامام لنفسه ، وماذا غرض هذه القصيدة السلامية ؟

کاش محشر میں جب ان کی آمد ہو اور
بھیجیں سب ان کی شوکت پہ لاکھوں سلام
مجھ سے خدمت کے قدسی کہیں ہاں رضا
مصطفی جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام

(انا أريد هذه الجائزة فقط : بينما كل الناس يسلمون على النبى ﷺ يوم القيامة يا ليت خدامه من الملائكه ينادوننى يا رضا ! ويطلبون منى هذه القصيدة فيحصل لى الاجرة والجائزة)

نعم هذه الجائزة هى التى يريدها الامام على هذه القصيدة ـ

قد اتضح الآن أن ما ظنه المخالفون شدة من الامام ليست فى الحقيقة الاحبا فاض من قلبه للرسول الكريم ﷺ ، ويلمع هذا الحب من ادبه للمقام النبوى ورعايته للشريعة الغراء فى كل مكان من قصائده وفتاواه وترجمة القرآن الكريم وضوح الشئ فى رابعة النهار ـ

من يستطيع ان يمسك لسان القائلين بأن الامام احمد رضا كان من البداية الى النهاية من مؤيدى الاستعمار الانجليزى وأن وجهة نظره حول حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة وحركة الهجرة وفى جميع الحركات الثائرة كانت مبنية على العداوة لهذه الحركات ، وأن رأيه

حول قضية كون الهند دار الاسلام او دار الحرب كان رجعياً ولهذا كان دوره فى حركة الاستقلال لشبه القارة الهندية منفيا فقط ـ

ومما يجب ان يفهم أن الامام احمد رضا لم يكن زعيما سياسياً ، انما كان حكيماً مدبراً، فالزعماء السياسيون يتبعون اهواء الشعب، اما الحكماء المدبرون فهم يتنبأون بالمستقبل ويخططون له ولا شك فى أن تلك الحركات فى ازمنتها كانت سيلا مفعما من الانفعالات ولكن ماذا اثمرت تلك الحركات ؟ يقول الشيخ رئيس احمد الجعفرى فى تعليقه على حركة الهجرة :

"ثم نشأت حركة الهجرة فهاجر ١٨ : الفا من المسلمين الى افغانستان بعد بيع بيوتهم وعقاراتهم واملاكهم واشتراها الهندوس باثمان رخيصة، ولما لم يجدالمهاجرون هناك مكانا لهم ، بل طردوا من هناك اضطروا الى العودة فمات كثير منهم فى الطريق والذين نجحوا فى العودة الى الوطن عادوا فى حالة يرثى لها : فقراء مفلسين لم يجدوا معيناً ولا حامياً، فبماذا نسمى هذه الحادثة إن لم نعتبرها هلاكاً"

(حيات محمد على جناح ص : ١٠٨)

لقد كانت حركة الهجرة نتيجة منطقية لاعتبار الهند دارالحرب ، وكانت المناقشات حامية حول هذه المسئلة، فالامام احمد رضا لم يعتبر الهند دارالحرب ، لانه ادرك بثاقب فكره أن اعتبار الهند دارالحرب قد يحل الربا للمسلمين لكن فى نفس الوقت يوجب الهجرة او رفع السيف والجهاد ضد الكفر والكفرة ، ولم تكن طبيعة الاوزار فى ذلك الوقت مبررة لاعلان الجهاد ورفع السيف ، لقد حكم المسلمون فى

الهند مئات سنين ، وهى بلاد مأمونة حتى ذلك اليوم، ولم يجد المسلمون أى حرج فى تأدية اعمالهم وواجباتهم الدينية فمن هنا كان الامام احمد رضا يعتبرها دار الاسلام ، لا دار الحرب ـ

ومن الغريب أننا نجد هؤلاء العلماء الذين كانوا يصرون على اعتبار الهند دار الحرب فى عهد الاستعمار ، صامتين اليوم فى عهد الهندوس ، ولايفتون بكونه دار الحرب، وهذا يوضح بجلاء أن هؤلاء إنما اصدروا هذه الفتاوى ـ فتاوى اعتبار الهند دار الحرب بتشجيع من الهندوس حتى يرفع المسلمون سيوفهم ضد الاستعمار الانجليزى، ليموت البعض فى القتال ويهاجر الباقون الى ارض الله الواسعة ، تاركين ارض الهند ، واليوم لو اعتُبِر الهندُ دارَ الحرب وحاربَ المسلمون ضد الحكومة الهندية او هاجروا فيتحطم سحر العلمانية الهندية ، ولهذا نرى ورثة اولئك الذين افتوا فى الماضى أن الهند دار الحرب صامتين اليوم ، لايفتون بشىء، إنهم بهذا الطريق يؤيدون عملياً فتوى الامام أحمد رضا وموقفه الذى دل على حكمته ونفاذ بصيرته

ولا تختلف حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة عن حركة الهجرة بكثير ، لقد بدأت الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤م واعلنت بريطانيا الاستعانة لضباط الهنديين، ووعدت بمنح الاستقلال للهند بعد انتهاء الحرب والانتصار مباشرة، وفى ذلك الوقت لم تكن لدى المسلمين فكرة باكستان، وفى صورة استقلال الهند عندئذ كانت الحكومة تنتقل الى الاغلبية الهندوسية ولهذا أيد غاندى قائد الهندوس، فكرة ادخال جيش هندى فى الحرب مع المعسكر البريطانى ، فالتحق كجيش لهذا الهدف مائتا الف من جنود الهند مسلمين وهندوس بالمعسكر البريطانى، وانهزمت تركيا فى هذه الحرب، واخلف الانجليز

وعده بعد الانتصار ـ فاراد غاندى أن يعاقب الانجليز وينتقم منهم، فأثار مشكلة الخلافة، وهكذا نشأت حركة الخلافة ـ

وفجاءة بدأ غاندى الحديث عن الخلافة وأن سلطان تركيا خليفة المسلمين وأن انهيار خلافته انهيار الاسلام، فتحمس المسلمون لحركة الخلافة وعملوا بجد ونشاط ضد الانجليز، ولكن الامر المؤسف ان القيادة كانت فى يد غاندى زعيم الهندوس، وأن غاندى الذى كان يرفض عن قطعة ارض للمسلمين فى الهند بدأ يعمل الآن لإقامة الخلافة الاسلامية على النطاق العالمى، لقد كان وراء هذه المبادرة المفاجئة ماورائها، أدركه الامام احمد رضا فرفع صوته ضد فكرة غاندى القومية المتحدة الهندية، فى الوقت الذى كان العلامة اقبال ـ الشاعر القومى لباكستان ـ والقائد الأعظم ـ مؤسس باكستان ـ مقتنعين بفكرة غاندى وغير مدركين لخطورة ابعادها، والنظر الغائر يحكم بأن الامام احمد رضا فى نظرية القوميتين امام لهما وهما مقتديان له ولم تنجح حركة استقلال باكستان لولا تنبيهه قبل سنوات على مؤامرات الهندوس ولما وراء أفكار غاندى

ونفس هذا الأمركان وراء حركة ترك الموالاة، لقد كان غاندى يثير المسلمين ضد الانجليز بترك اداء اضرابات، واستغل لتأييد هذه الدعوة فكرة او قاعدة "عدم الموالاة" لكن الامام احمد رضا اعلن بأن الاسلام يطالب بعدم موالاة الكفار ومحبتهم، لابعدم معاملتهم والاضراب تتعلق بالمعاملة لا بالموالاة، وان عدم الموالاة لاينطبق على الانجليز وحدهم بل ينطبق على الهندوس ايضاً، فتخصيص الانجليز فقط دون الهندوس لامبرر له، إن مقاطعة مشرك مع موالاة مشرك آخر لايتمشى مع الاسلام، هذه خلاصة موقف الامام احمد رضا فى حركة ترك

الموالاة التى نادى بها غاندى ـ

وفى الوقت الذى نجد القائد الأعظم مخالفاً لحركة ترك الموالاة كان مولانا محمد على جوهر ومولانا شوكت على بالاضافة الى كثير من السياسيين المسلمين من مؤيدى فكرة غاندى فى هذا الأمر، ولم يفطن الزعماء المسلمون خبث الهندوس الا من خلال كلمات الامام احمد رضا، ولعل احسن مثال لذلك موقف العلامة اقبال الذى استقال من رياسة اللجنة الاقليمية لحركة الخلافة بمجرد معرفته على اهدافها وابعادها الخطيرة، ويعبر اقبال عن ذلك العصر فى شعره :

"نہیں تجھ کو تاریخ سے آگہی کیا؟
خلافت کی کرنے لگا تو گدائی
خریدیں نہ ہم جس کو اپنے لہو سے
مسلماں کو ہے ننگ وہ بادشاہی

(اليس لديك معرفة التاريخ؟ بدأت تكفيف الخلافة، السلطة عار على المسلمين ما لم نشترها بدمائنا)

وفى عصر هذه الحركات كانت احاسيس الشعب مشتعلة ومن سوء الحظ ان قومنا متطرف فى امورها وقال شاعر آخر :

افسوس ہم چلے نہ سلامت روی کی چال
یا بے خودی کی چال چلے یا خودی کی چال

(من المؤسف ان مشيتنا لم تكن مشية السلامة، مشينا مشية فاقد الوعى او مشية المعتمد على نفسه فقط)

من الصعب فى مثل هذه الظروف الكارثة إهمال المخالفات والاستمرار فى نشر فكرة القوميتين (القومية الاسلامية والقومية الهندوسية) ويبدو الثبات على مسلك الاعتدال مستحيلا، لكن الامام

احمد رضا ذا القوى العظيمة الهائلة استطاع أن يكون الرجل الذى يتغلب على هذه الظروف الشاسعة ويثبت على مواقفه المبدئية بدون ان يستسلم للحماس الذى كان يقود كثيرا من الزعماء والعلماء ـ

والقول بأن جهود هذا الامام كانت لتقوية الانجليز وتثبيت شوكتهم، فهذا قول من لم يعرف ابعاد شخصية الامام ومواقفه ومسالكه او ينكر لها على معرفة ايضاً ـ

ان الامام احمد رضا هو ذاك الرجل المؤمن الذى كان يكره الانجليز غاية الكراهة حتى أنه كان يرى الذهاب الى ديوان الانجليز للمقاضاة حراماً ، ولم يرض بالذهاب اليه مع ثبت الدعوى على خلافه، والذى كان يعكس بطاقة البريد ويكتب العنوان على هذه الصورة، قاصداً بذاك اذلال تاج الملكة البريطانية ، والذى اوصى قبل وفاته بساعتين ان يبعد عنه جميع الرسالات القادمة من انحاء الهند ، التى عليها صورة ملك او ملكة البريطانية ، والذى اوصى ان يُبعدَ عنه النقود التى عليها صورة ملك او ملكة البريطانية حتى لا تتضايق ملائكة الرحمة فى القدوم عليه ، والذى اتخذ الشيخ كفايت على كافى انموذجه فى المدائح النبوية ولقبه بسلطان المادحين لسيد الانبياء ﷺ، على الرغم من كراهة الشيخ كفايت على للانجليز غاية الكراهة ، حتى اصدر فتوى ضد الانجليز بالجهاد عام ١٨٥٧م وكانت له جهوداً بارزةً فى حركة استقلال الهند، والذى اغتيل بأمر الانجليز فى مفترق الطرق بمراد آباد عام ١٨٥٨م، إن القول بأن الامام احمد رضا الذى كانت مواقفه ما ذكرناه عميلا للانجليز، قول من يسوى بين النور والظلمة وبين البرودة و لحرارة وبين الأرض والسماء وبين الحكمة والضلالة ـ

الفهرس